الفصل الـ ثانـ ي.

نيكولا مكيافيل Nicolas Machiavel

(١٥٢٧ . ١٤٦٩)

—

مقدمـة:

يُثير اسم مكيافيل لدى الباحث في الفكر السياسي صورة حقبة تاريخيّة مهمّة في مسيرة الإنسانيّة، ألا وهي عصر النهضة (Renaissance). والنهضة، بحسب جان . جاك شوفاليه، حركة فكريّة بدأت في نهاية القرن الخامس عشر وبلغت أوجها في الربع الأول من القرن السادس عشر. هدفت هذه الحركة الى إستبدال القواعد الفكريّة التي كانت رائجة في القرون الوسطى بالعقلانيّة التي اشتهر بها اليونانيون والرومانيون. ويحمل هذا المصطلح أيضاً معاني أخرى لا تقلّ أهميّة عمّا ذكرناه، فزمنه زمن الملكيّة المطلقة، كما أنه عصر الإكتشافات، ففي هذه الحقبة اكتشف كولومبس القارة الأميركيّة وفاسكو دي غاما (Vasco de Gama) طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح (Le cap) واكتشف غوتنبورغ(Guetenburg) الطباعة... في هذه الأجواء العابقة بالتحولات ولد مكيافيل وعاش وكتب.

I . المجتمع الإيطالي في القرن الخامس عشر:

١ . المناخ الذي هيأ لكتابات مكيافيل.

عاش مكيافيل في الفترة التي كانت فيها إيطاليا مقسّمة الى خمس إمارات متنافسة ومتصارعة في ما بينها. وكان لسقوط جمهوريّة فلورنسا عام ١٥١٢ في يد عائلة (Médicis) الأثر الكبير في حياة

مكيافيل وفي نوعيّة كتاباته السياسيّة، ذلك أنّه خلال تلك المرحلة كان البابا حاكماً على إحدى المقاطعات الإيطاليّة، ويتدخّل في السياسة، ويتصارع مع منافسيه على السلطة. وكان مكيافيل يحمّل الكنيسة مسؤوليّة عدم توحيد إيطاليا. في تلك الحقبة ايضاً كان المجتمع الإيطالي يعيش حالة من الفوضى، حيث تعاني السياسة الإيطاليّة من الإنحلال ويعيث الفساد في مؤسسات نظامها السياسي، وأصبح القتل والقسوة أدوات عاديّة للحكم.

٢ . <u>حياتـه:</u>

ولد نيكولا مكيافيل من عائلة عريقة عام ١٤٦٩ في فلورنسا، من أب قانوني لامع وأم على معرفة واسعة بالشعر. كان يحب المطالعة وكانت له صداقات مع كتّاب ومفكرين، ما سمح له بالحصول على ثقافة واسعة في القانون والسياسة والتاريخ والفلسفة. عاش مكيافيل في هذه المدينة وشاهد تحولات أساسيّة في تركيبة النظام السياسي الفلورنسي. فقد انتقلت السلطة من عائلة (Médicis) الى (Savonarole) رجل الدين الذي حكم المدينة بالحديد والنار، وسقط على أثرها فاسحاً المجال أمام حكم جمهوري أصبح مكيافيل في ظلّه مستشاراً عام ١٤٩٨ وبقي حتى سقوطها وعودة آل (Médicis) الى السلطة عام ١٥١٢.

وقد أتاح له منصبه أن يكون على صلة مباشرة بشؤون الدولة السياسيّة، إن على الصعيد الداخلي أو الخارجي، كما أهّله هذا المنصب لفهم خفايا سياسات الدول وتحليلها في مؤلفاته التي وضعها في الريف التوسكاني بعد نفيه. توفي عام ١٥٢٧ تاركاً وراءه ارثاً فكرياً قيمّاً ومتنوعاً من الكتب ومسرحيّة. هذه المؤلفات هي: "أحاديث عن كتب تيتوس لينوس العشرة الأولى " (Discours sur la première décade détite-live 1512)" و"فن الحرب" عام ١٥١٩ و"تاريخ فلورنسا" عام ١٥٢٥ ومسرحيّة
" La Mandragore" عام ١٥١٨. أمّا أهمّ مؤلفاته فهو كتاب " **الأمير**" الذي وضعه عام **١٥١٣**، خلال فترة نفيه عن فلورنسا. ويعتقد البعض أنّه كتبه بهدف كسب عطف لورنس الثاني دو مديسيس (Médicis) الذي استلم السلطة، وقد أكسبه هذا المؤلّف شهرة عالميّة لا تزال تصدح حتى يومنا هذا.

٣ . موقف مكيافيل من السياسة:

من المؤكّد أن مكيافيل لم يكن منظراً سياسياً، بل كان مراقباً لسياسة عصره. ومؤرّخاً، وحاول من خلال كتاباته أن يظهر المشاكل والأزمات التي تعصف بالإمارات الإيطاليّة وفي الوقت عينه سعى لإيجاد حلول لها. ولكن ما هي مقاربته للسياسة؟ وكيف نظر إليها؟.

أ . ماهيّة السياسة(النصّ الأول ص. ٩):

اولاً . في الإطار المنهجي: في شكل عام يعتبر مكيافيل أول من كتب بأسلوب سياسي جديد، وأول من نظر الى السياسة بشكلها الواقعي. ماذا يعني هذا على مستوى الفكر السياسي؟.

١ . منهجيّة جديدة في التفكير ومقاربة جديدة للسياسة (يتحدّث عن اللاأخلاقيّة السياسيّة مثلاً...)

٢ . الإنقطاع عن منهج علم السياسة الذي كان سائداً أيام أفلاطون وأرسطو والقائم على بناء نظري، مثال نظريّة الدساتير عند أرسطو والجمهوريّة المثاليّة عند أفلاطون أو عند القديس أوغسطينوس.

٣ . التحوّل عن أدب النصائح الذي كان يتوّجه به المفكرون للملوك في القرون الوسطى.

←في السابق إصرار على النواحي الأخلاقيّة في حكم الأمير وليس السياسة أو الإستراتيجيّة.

←التمييز بين المدينة السماويّة والمدنيّة الأرضيّة.

←غاية حكم الأمير خلاص رعاياه الأبدي

ثانياً . في المضون: تميّزت كتابات مكيافيل بالواقعيّة، وأظهرت براعته بقدرته على تجسيده هذه الواقعيّة من خلال المنهج الذي اعتمده وطريقة تفكيره التي كانت غريبة عن عصره. وتتمتّع الواقعيّة بمميّزات أبرزها:

← التعلّم من التجربة ومن دروس الماضي، وملاحظة مباشرة للحياة السياسيّة. (La science politique s’appuie sur l’observation empirique de l’histoire et pas sur le sens éventuel de l’histoire).

↙ رصد السياسة عبر الواقع المعاش (Le vécu)

↙ العقلانيّة الإنتهازيّة: النفعيّة القائمة على الحسابات الباردة للوصول الى الأهداف، أي العقل والمصلحة وليس المبادىء والأخلاق.

ب . السلطة السياسيّة:

إن الهدف الأساسي لدراسات مكيافيل هو "الدولة" (status)، والحقيقة أنه واضع هذا المصطلح وأول من استخدمه بمفهومه الحديث. لقد فرّق مكيافيل بين الجمهوريّة والإمارة قائلاً:"إن كل الناس كانوا خاضعين للجمهوريّة أو للإمارة". وهذا التمييز سيعتمد في العلوم السياسيّة ولا يزال مستمراً حتى يومنا هذا.

وعلى الرغم من أنه مخترع هذا المصطلح إلاّ أن صورة الدولة لم تكن واضحة في ذهنه، فقد اعتبرها "منظمّة نشيطة قائمة على عادات اللاعبين السياسيين"، وهو لم يفصلها عن شخصيّة الأمير. وهذا طبيعي نظراً لتأثرّه بالسلطة المطلقة التي كانت سائدة في عصره. فالأمير هو مركز اهتمامه، إذ يوجّه إليه نصيحة التروّي والدراسة (لفرط ما يدرسون...). أمّا ما يشغله أكثر فهو كيفيّة قيام دولة مستقرّة يتمكّن فيها الحاكم **من مزاولة الحكم والمحافظة عليه أكثر مما تشغله شرعيّة الحكم.** من هنا، لا بدّ للحاكم أو الأمير من معالجة الأمور التي حصلت بدل أن ينشغل بالأمور التي يُفترض أن تقع: "إن الذي يتنكّر لما يقع... الحفاظ عليه". هذه المقولة تُظهر مدى الواقعيّة التي يرجوها مكيافيل من الأمير. فهو يردّ على المنظرّين في الأخلاق من أبناء عصره معلناً أن الواقع مختلف عن الخيال، ما يجعله بحقّ أبا الواقعيّة السياسيّة.

ج . إدارة اللعبة السياسيّة ودور الحاكم:

يطرح مكيافيل أفكاره بصراحة ووضوح في كل كتاباته، فهو يصف السياسة اللاأخلاقيّة والتي بها يصل الأمير الى أهدافه. فبين مدينة الله ومدينة البشر يختار الثانية. فالسياسة بالنسبة له، هي "إرضاءً لشهوة السلطة الضروريّة لتحقيق الأهداف المحددة "[1]. ويعتبر (Ricci) أن هذا الموقف هو احدى المسلمات (Axiome) التي كان مكيافيل مقتنعاً بها، والتي عبّر عنها في كتاباته. كما يعتبر أن ليس من المفروض أن يكون الأمير مثالاً لأبناء شعبه، لذلك عليه استخدام كل الوسائل لتحقيق أهدافه، فمكيافيل غير مبالٍ بالأخلاق والقانون.

يعلن مكيافيل مواقفه من السلطة السياسيّة ونظرته الى الحكم والشعب ورجل السلطة في اكثر من مكان، ففي مسرحيّة (La Mandragore) مثلاً يؤكّد مكيافيل على الأفكار التي طرحها في كتاب الأمير. فعلى الرغم من أن القصة تبدو عاديّة حول رجل يرغب في الحصول على وريث إلاّ أن مدلولاتها، وشخصيات المسرحيّة تجسّد بصورة جليّة المجتمع وعلاقة الحاكم بالمحكوم. فالزوجة (Lucrezia) تجسّد (La fortuna) أي الصدفة التي يفترض بالحاكم ومن خلال عمله السياسي السيطرة عليها[2]. ويقصد مكيافيل بهذا القول أن رجل السياسة المحنك لا يترك شيئاً للصدفة، ويرمز

[1] Jean Claude Ricci, Histoire des idées politiques, Dalloz, 2008, p. 142

[2] Mc Falls, (L'action politique vise la maitrise de la fortune, l'acteur politique est celui qui la bat).

(Nicia) الزوج البسيط والمأخوذ بفكرة الوريث الى الشعب البسيط الذي يصدّق كل ما يُقال له خاصةً ما يصدر عن رجل السياسة. أمّا (Ligurio) فهو يمثّل المستشار الماكر الذي يجد حلولاً لكل المشاكل التي تعترض الحاكم، وفي هذا التشبيه تلميح الى مكيافيل نفسه والدور الذي لعبه في ظل الجمهوريّة. أمّا الحاكم أو رجل السياسة فهو (Callimaco) الذي يحسن استخدام مواهبه لإقناع الشعب والسيطرة على الحكم والتمتّع بالسلطة (ميزة الواقعيّة السياسيّة).

وفي الخلاصة، إن الذي صنع شهرة مكيافيل، بحسب شوفاليه، كتابته عن أساليب الحكم والوسائل التي تقوي بها الدول مكانتها ونفوذها، والسياسات التي تستطيع من خلالها تعزيز قوتها والأخطاء التي قد تؤدّي الى انحلالها. وتكاد تكون الأساليب السياسيّة والعسكريّة هي الوحيدة التي يهتّم مكيافيل بها، وهو يفصلها فصلاً تاماً عن الإعتبارات الدينيّة والأخلاقيّة والإجتماعيّة.
فالهدف من السياسة سياسي بامتياز؛ وهو المحافظة على القوة السياسيّة نفسها وتقويتها، ومعيار ذلك هو مدى نجاحها في تحقيق هذا الهدف، دون الأخذ في الإعتبار نوعيّة السياسيّة سواء أكانت قاسية أم غدّارة أم غير جائزة شرعاً. وغالباً ما كان مكيافيل يناقش المزايا اللاأخلاقيّة التي تُستخدم بمهارة لإدراك غايات الحكم. هنا تكمن الصفة المميّزة لكتاباته السياسية والتي أكسبته شهرته باعتبار انه يفصل السياسة عن الإعتبارات الأخرى ويكتب عنها كما لو كانت غاية بحدّ ذاتها. وقد شكلّت أفكاره هذه منطلقاً لكتابات أخرى تناولت الحكم والسلطة.

٤ . **الطبيعة البشريّة** (نصوص ص ١١ . ١٢):

تُظهر كتابات مكيافيل عدم اكتراثه لموضوع الأخلاق، ويعود السبب الى نظرته المتشائمة إلى الطبيعة البشريّة، فهو يفترض أن الطبيعة البشريّة ثابتة لا تتغيّر مع الزمن، وبالتالي، فإنه من غير الممكن تنظيم المجتمع وفق قواعد أخلاقيّة. فالناس يولدون أشراراً " Les hommes sont naturellement méchants"، ويظهر هذا الإستنتاج بوضوح في الكتابين السياسيين "الأمير" و"الخطبات" (Les discours). بالنسبة لمكيافيل، تُظهر التجارب أن طبيعة البشر السيئة هي ثابتة (constat)، ويبيّن مكيافيل رأيه هذا بقوله: "إن الناس بصورة عامة ناكرون للجميل... إرثه وممتلكاته" (نص ص، ١١).

ونستخلص ممّا تقدّم، أن الطبيعة قد منحت البشر صفات وضيعة يغلب عليها طابع الشرّ، فالناس أنانيون، سيّئون، غير راضين، ناكرو الجميل، عنيفون، ظالمون، مفسدون وفاسدون، خبثاء، جشعون، بالاضافة الى كونهم مترددين. وبما أن الحاجات الإنسانيّة كثيرة، وأطماع الانسان ورغبته في زيادة ممتلكاته وقوته ليس لها حدود.. فإن الناس يبقون في حالة نزاع وتنافس دائمين (ما يهدد البلاد بالفوضى) ما لم تكبح جماحهما القوة الكامنة وراء القانون. وهكذا فإن الحكم يجب أن يبنى على حقيقة أساسيّة وهي أن الأمن لا يستتبّ إلاّ إذا كان الحكم قوياً. ومن هنا، يرى مكيافيل أن السياسة لا يمكنها أن تكون إلاّ على صورة البشر أي ظالمة ولا أخلاقيّة (Perfide)، والصفتان هما الأكثر وضوحاً في السياسة.

أمّا العنف فهو من مميزات السياسة التي تبقى الأخلاق غريبة عنها. فالسياسة لا تعرف الفضيلة ولا السلام، وهي محكومة **بالقوة**، **والرغبة**، وهي ساحة مواجهة وصراع **بين المصالح**. السياسة هي أيضاً مكان تسود فيه **الحيلة** و**الفساد** والرغبة **في التوسّع**. وإنطلاقاً من الصورة السيّئة التي يراها مكيافيل في الطبيعة البشريّة، فإن هذه الصفات التي عددناها يجب أن تشكّل، برأيه، الأسس التي يبني عليها الحاكم قوّته وحكمه. فالحكم يجب أن يقوم دائماً على افتراض أن الناس سيّئون وأن الفوضى وشيكة الوقوع ولا يمنعها إلاّ قوّة الحاكم. وبالتالي، فإن أي ضعف في الحكم يؤدّي الى شعور بعدم الإطمئنان لدى الشعب، ويحرّك لدى اللاعبين الآخرين أو المنافسين الأطماع بالسلطة والرغبّة في الحصول عليها. لذلك على الحاكم أن يكون على معرفة جيدة بالطبيعة البشريّة. وهذه المعرفة يجب أن تُكمّل عند الحاكم الناجح بأمور أخرى كالإهتمام بسلامة الناس والعمل على توفير الحماية لهم ولممتلكاتهم. فالمحافظة على الممتلكات مسألة أساسيّة بالنسبة للناس. والإنسان بطبعه شديد الحرص على ملكيته لدرجة أنه مستعّد أن يغفر لقاتل أبيه أكثر من استعداده للصفح عن الذي صادر له ثروته. إذاً الحاكم العاقل، برأي مكيافيل، **قد يقتل** ولكنه لا **ينهب**.

II . كتاب الأمير :

كتب مكيافيل "الأمير" حوالي سنة ١٥١٣ خلال نفيه من فلورنسا حيث سعى من خلال عرض مزايا الأمير وكيفيّة إدراته الحكم الى اكتساب رضى الحكّام الجدد. كما كتب في فترة لاحقة كتابه "الخطابات" الذي يعتبر الى جانب كتاب "الأمير" زبدة أفكار مكيافيل السياسيّة وخلاصة آرائه حول الدولة والنظام السياسي واللاعبين السياسيين.

١ . محتوى الكتاب:

كتاب الأمير مؤلّف من ثلاثة وعشرين فصلاً قصيراً، وهو مقسّم إلى قسمين. يعالج مكيافيل في القسم الأول وسائل الوصول الى السلطة وأنواع الإمارات، ويميّز بين الإمارة الوراثية والإمارة الحديثة. وخصصّ القسم الثاني للأمير، وفي هذا القسم يقدم الكاتب النصح للامير حول اساليب حكمه وكيفيّة إدارته للّعبة السياسيّة .

. <u>في القسم الأول:</u> سعى الكاتب الى تفسير أسباب وعوامل نشوء الإمارة. كما حدّد أنواعها وتناول الحكومات المطلقة وأساليب الحكم الواجب اعتمادها للمحافظة على السلطة تفادياً لانهيارها، كذلك عرض لأسباب خسارة السلطة (عليه ان يكون أسداً أي أن يتمتع بالقوة الذاتية وثعلباً لانه يتمتع بال Virtù).

ميّز مكيافيل بين الإمارة ذات النظام الوراثي والإمارة الحديثة، معتبراً أن المشاكل والتحديات في الحكم تواجهها الإمارة الحديثة في سبيل استقرار الحكم والمحافظة عليه واستمراريته. وهذه التحديات لا تعرفها الإمارة ذات النظام التوارثي، إذ إن نظامها يكون مستقراً والحكم فيها سهلاً لا يتطلّب مجهوداً كبيراً من الأمير. فيكفي أن لا يتخطّى التقاليد التي وضعها الجدود وأن يتكيّف مع الأحداث حتى يبقى الحكم مستقراً. إذاً لا مشكلة تعترض الحكم الوراثي، فمن السهل الحصول على السلطة على اعتبار أنها تنتقل بالتوارث. فالمشكلة هي في الإمارة الحديثة لا سيّما لجهة انتقال السلطة والمحافظة عليها. ويشرح مكيافيل رأيه قائلاً : "إن هذا النوع من الحكم يواجه عدم الإستقرار على اعتبار أن الشعب يأمل أن يأتي أمير يكون أقوى من الحاكم الحالي فيطيح به ويستلم السلطة.." ويتابع الكاتب عارضاً لأفكاره ومعتبراً أن هناك أربع وسائل يتمّ بها السيطرة على الحكم في الإمارة الحديثة، فهي تحدّد مدى امكانيّة استمراريتها، ومن هنا تكتسب أهميتها. هذه الوسائل هي:

١- القوة الذاتية+ الفضيلة السياسية (Virtù)
٢- السيطرة بواسطة الحظّ (La Fortuna) وقوة الآخرين
٣- السيطرة عن طريق الإجرام (Scélératesse)
٤- السيطرة عن طريق الاقناع

١ . السيطرة بالقوة الذاتيّة والفضيلة السياسيّة (Virtù):

. بواسطة القوة الذاتية: يعتبر مكيافيل أن هذا النوع من الحكم يعرف في بداياته عقبات عدّة وصعوبات جمّة تتجلّى في وضع مؤسسات جديدة لإدارة الحكم. كما يواجه الأمير الجديد محاولات

انقلاب عليه من أعداء كانوا مستفيدين من النظام القديم. فإذا أظهر صلابة في التعامل معهم تمّكن من المحافظة على حكمه والإستمرار فيه، وإلاّ فإنه يخسر حكمه ويصبح خارج اللعبة السياسية. إذاً على الأمير أن يُظهر القوّة كي يحافظ على حكمه فبالقوة فقط يفرض هيبة سلطته ويستمرّ قوياً ومحترماً وسعيداً ومرتاحاً "[٣].

. بواسطة الفضيلة السياسيّة (Virtù)، وعنى مكيافيل بها سيطرة الأمير بواسطة طاقته الشخصيّة مستخدماً كل الحيل التي يمتلكها، وقد اعتبر أن الفضيلة السياسيّة والقوّة الذاتيّة تتكملان.

٢ . السيطرة بواسطة الحظّ ومساعدة الآخرين(Fortune):

يمكن للإمارة الحديثة أيضاً أن تنشأ بواسطة الحظّ وقوّة الآخرين العسكريّة. وبرأيه أن هذه الوسيلة تمكّن الأمير من الوصول الى السلطة بسهولة كبيرة. فيكون قادراً على تخطّي الصعوبات على اعتبار أن هناك قوّة حليفة تدعمه غير أن الصعوبات، بحسب مكيافيل، تبدأ عندما يستلم السلطة، ".. وهي غالباً ما تكون قاضية، فمثل هؤلاء الأمراء يخسرون دولتهم "[٤]. وفي كلامه هذا تلميح الى César Borgia الذي وصل الى السلطة عن طريق الحظّ فوالده الذي كان بابا استعان بلويس الثاني عشر ملك فرنسا، لتوطيد حكمه بالقوّة والإرهاب. غير أن مرض والده ووفاته وضعاه في المواجهة مع ملك فرنسا وحليفه الجديد ملك إسبانيا، فخسر السلطة وفقد الحكم.

٣ . الاجرام: (Scélératesse)

يقول مكيافيل انه "يمكن للمرء أيضاً أن يصبح أميراً عن طريق الإجرام"، ويصل إلى السلطة كما فعل Borgia حيث سيطر على Romagne بالحديد والنار. إن العبرة من هذه الوسيلة هي ان استخدام الإجرام بطريقة صحيحة وسريعة سيساعد الأمير على الإمساك بالسلطة، أي التخلّص من أعدائه دفعة واحدة. فبرأيه أن هذا الاسلوب يكون أقلّ مرارة وأخفّ وطأة على الناس من عمليات التصفيّة البطيئة. وفي المقابل، يجب أن يقوم الامير باعمال حسنة (Bienfaits) غير أن هذه الاعمال يجب أن تأتي على مراحل كي يشعر بها الناس. فالافعال الفظيعة التي يرتكبها الحاكم على دفعات تصيب الناس بالخوف والشعور بعدم الأمان. ولا يعود بإمكان الأمير الإتكال على مساعدتهم، ويكون بدوره حذراً منهم إذ يصبحون مستعدين للإنتقام منه عندما تحين الفرصة.

[3] J.J. Chevalier, Les grandes oeuvres politiques, Armand Colin, Paris, 2001, p.p. 19- 20.
[4] J.J Chevalier, Ibid, p. 20.

٤ . الإقناع: في هذا الأسلوب على الأمير أن يلجأ الى الطرق غير العنيفة للوصول الى السلطة وأن يواجه منافسة خصومه ويزرع الكراهيّة بينهم وبين الشعب حتى يتمّكن من الاستمرار في السلطة.

والواضح أن مكيافيل أراد بعرضه هذا أن يبرهن أن القوّة والفضيلة السياسيّة هما في أساس بقاء السلطة واستمراريتها، وأنّ الأقوى ينتصر ويحافظ على الحكم ويصنع التاريخ... أوليس صحيحاً أن تاريخ البشريّة كتبه الأقوى؟!

- انواع الحكم: اعتبر مكيافيل أن هناك ثلاثة أنواع من الحكم: . الإمارة المستبدة (Despotique) . الإمارة الأرستقراطيّة . الجمهوريّة.

. <u>الإمارة المستبدة:</u> يحكم هذه الإمارة أمير مستبدّ ويكون الشعب في حالة عبوديّة كما هي حال تركيا. وبالتالي، من الصعب احتلالها وذلك أن الشعب يكون ملتفاً حول الأمير ولا أمل للغريب بالحصول على مساعدته. وفي هذه الإمارة يستمّر الحكم طالما أن ذريّة الأمير باقية. ولكن ما أن تنتهي ذريّته حتى يسقط هذا الحكم. ويبرّر مكيافيل قائلاً: "إن الشعب الذي تعوّد على الخضوع يجد نفسه عاجزاً عن اختيار أمير جديد وحمل السلاح"[٥].

. <u>الإمارة الأرستقراطيّة:</u> تكون هذه الإمارة محكومة من الطبقة الأرستقراطيّة أي اللوردات. وتستمّد هذه الأخيرة سلطتها من التقاليد وليس من الأمير مثال فرنسا. وهذه الدولة يمكن احتلالها بسهولة، إذ هناك دائماً مجموعة من الشخصيات غير راضية عن الحكم ومعارضة له ومستعدة لفتح الباب أمام الغريب وتسهيل انتصاره. وبالتالي، يكون من الصعب المحافظة على السلطة. ويقول مكيافيل إن "التخلّص من كل الشخصيات في الإمارة الأرستقراطيّة أو إرضاءهم جميعاً هي مسألة صعبة، لذلك هناك دائماً مجموعة مستعدّة أن تكون على رأس الحركات المناهضة للسلطة، عندما تحين الفرصة فيخسر الأمير حكمه"[٦].

. <u>الجمهوريّة:</u> تعيش الجمهوريّة حرّة في ظلّ قوانينها الخاصة. في الجمهوريّة يكون من الصعب على الأمير أن يحافظ على السلطة. وحالة الشعب في الجمهوريّة تكون على نقيض حالته في الإمارة المستبدّة. فهو غير خاضع ويتمتّع بالحريّة، ويولد عنده شعور بالكراهيّة والرغبة في

[5] Dimitri Georges Lavroff, Histoire des idées politiques de l'antiquité à la fin du XVIII[e] siècle, 9ème edition, Dlloz, 2002, pp. 77- 78.
[6] Chevalier, Op. Cit., p. 18.

الإنتقام في حال تعرض لمضايقات. ولحلّ هذا الإشكال يقترح مكيافيل على أمير البلاد أن يقمع سريعاً الفوضى في حال حصولها، وأن يحكم المواطنون أنفسهم بانفسهم وفق قوانين يضعها الامير. وعلى الرغم من إعجاب مكيافيل بانظمة الجمهوريّة وحكوماتها الحرّة، إلاّ أنّه يفضّل أن تُدمّر وتزول.

وانطلاقاً من تجربة مكيافيل المريرة في الجمهوريّة الفلورنسيّة هو لا يولي، في كتاباته، الإهتمام الكافي للحكم الجمهوري، ويرغب في القضاء عليه. كما أنّه لا يكترث للحكم الوراثي، ولكنه يعير اهتماماً كبيراً للإمارة الحديثة آخذاً من مشاهداته لما حصل في إيطاليا منطلقاً لوصف وتحليل الأحداث والتقلبات التي عرفتها الإمارات المجاورة لفلورنسا، وتلك التي عاشتها مدينته أيضاً.

. <u>القسم الثاني:</u> خصّص مكيافيل هذا القسم لإسداء النصائح للأمير حول كيفيّة إدارته حياته السياسيّة وشؤون البلد والوسائل التي تمكّنه من الوصول الى السلطة والمحافظة عليها. غير أن الموضوع الأبرز الذي يعالجه الكتاب هو "صفات الأمير" وهي موجودة في الفصول (١٥) ← الفصل (٢٠) حيث اعتبر شارل بونوا (Charles Benoist) أن هذه الفصول "هي عصارة أفكار مكيافيل ولب المكيافيليّة"[7]، ففي هذه الفصول يرسم مكيافيل صورة حاكمه الجديد بوضوح وصراحة.

٢ . <u>اللاعبون السياسيون</u>(النصوص ص ٨-١١):

. <u>النص الأول:</u>

←لكل فرد طموح الوصول إلى السلطة (السلطة هي هدف ثابت).

←رغبة عند كل انسان بالسلطة: لا يكفي الطموح إنمّا على الفرد العمل للإستمرار في السلطة والمحافظة عليها(كل فرد لديه الطموح والارادة للوصول الى السلطة).

كل فرد لديه * الطموح والإرادة.

* القدرة والقوة والوسائل.

تترجم السلوك السياسي.

← تعدديّة اللاعبين السياسيين ← صراع على السلطة ↙ (الحلبة السياسية)

. كل شيء في السياسة يدور حول شخص الامير.

[7] J.J Chevalier, Op.Cit., p. 25

. معيار تقييم العمل السياسي هو في المحافظة على السلطة.
. نقد لكل الافكار الفلسفية حول مفهوم الانساني الاخلاقي للحكم ولمنطلقه الديني (المسيحية تعتبر الحاكم أباً للمواطنين..)، مقولة مكيافيل ارتكزت على التجارب التاريخية التي اظهرت ان التنظير الميتافزيقي أدّى الى دمار الحكم بدل المحافظة عليه "ماذا تفيدنا الاوهام هناك فرق كبير بين الطريقة التي يجب ان تحيا وفقها والطريقة المفترضة، فمع هذه الاخيرة ندمر انفسنا، ان الذي يرغب في أن يظهر نفسه رجلاً ذا حسنات يُقضى عليه بين الاشرار"[٨].

. النص الثاني:

بالنسبة لمكيافيل إن السياسة ← لعبة قوى وصراع على السلطة.
الأمير ← وسائل الوصول ← السلطة.
معيار التقييم النجاح (وصول الأمير الى السلطة والمحافظة عليها).

يعتبر مكيافيل أن كل شيء يدور في السياسة حول مسألتين مهمتين:
الأمير (أي شخصه) والسلطة السياسيّة، فيقول: "إن رغبة السلطة...لا بل أكثر منها" (ص ١٠) فبالنسبة **للمسألة الأولى** يرى ميكافيل الدولة مرتبطة عضوياً بشخص الأمير، فهي دولته، وهذا يعني أن الأمير هو محطّ اهتمام ميكافيل.

أمّا المسألة الثانية فتتمثّل بالسلطة، برأيه أن كل انسان يرغب في السلطة مهما كانت مرتبته الإجتماعيّة. فالسلطة حلم كل فرد، وهذا الحلم يقترب أو يبتعد عن التحقيق بحسب الإمكانات التي نضعها بين يديه. ومن خلال كتابته هذه يرد مكيافيل على المقاربة التقليديّة التي كانت سائدة في عصره لا سيما تلك النظريات التي كُتبت في القرون الوسطى حول "المفهوم الإنساني للحكم" المستوحى من الفكر المسيحي، حيث سعت هذه النظريات الى وجوب إخضاع السلطة للمعايير الأخلاقيّة اما الحكم المتسلط فيجب محاربته. وفي هذا النص يتهم مكيافيل هؤلاء الفلاسفة فهم، برأيه، يرتكبون خطأً فادحاً بإعتمادهم على حكم مثالي ويغمضون أعينهم عن الحقيقة. فالسياسة بالنسبة له هي نقيض المثاليّة. ويرتكز في مقولته هذه على التجربة التاريخيّة التي تظهر أن تنظير المتافيزيقين لم يؤدِّ الى قيام حكم صالح وأخلاقي بل على العكس قاد الى انهيار السلطة ومقوماتها. "إن الذي يفترض ما يجب أن يكون بدلاً من الذي يجب أن يكون، إنّما يتعلّم ما يؤدّي الى دماره بدلاً مما يؤدّي الى الحفاظ عليه " (نص، ص ٨).

[8] Lavroff, Op.Cit., p. 79.

من هنا أهميّة مقاربة السلطة ليس من خلال شرعيّة أخلاقيّة ولكن من خلال قراءة صحيحة للواقع، لذلك، يجب مواجهة الحقيقة بدلاً من الإعتماد على الأوهام التي نصنعها لنفسنا. إذاً ماذا تفيدنا الأوهام؟ هناك فرق كبير بين الطريقة التي يجب أن تحيا وفقها والطريقة المفترضة، فمع هذه الأخيرة ندمّر أنفسنا. "فإن الذي يرغب في أن يظهر نفسه رجلاً ذا حسنات يُقضى عليه بين الأشرار".

إنّ السلطة، بالنسبة لمكيافيل، هي في المحافظة عليها وفي استمراريتها: إنها حكم الواقعيّة. أمّا الحكم على العمل السياسي فيكون من خلال نتائجه. فازدهار المدينة يعني نجاح العمل ودمارها يعني فشله.

وفي الخلاصة، يمكن القول إنّ مكيافيل يعتبر أن الرغبة في تولي السلطة موجودة عند كل الناس، وهو يشبهها بالشهوة المحتدمة في نفس الإنسان.

٣ . الأمير: الوصول الى السلطة والمحافظة عليها (نص ص ١٤):

"الصدفة هي في أساس كل انواع الحكومات المعروفة بين البشر" (ص١٤) وهذا يعني ان الأحداث أو مجموعة أحداث تاريخية ادت الى ولادة الحكومات (هو ينطلق من مراقبة التاريخ ودراسة التجارب).

في شكل عام ربط مكيافيل العمل السياسي بالغاية أي الوصول الى السلطة والإستمرار فيها. وانطلاقاً من اعتباره أن السياسة هي لعبة صراع قوى، فإنه من الضرورة استعمال كل القوة والقوى والوسائل التي توصل الى السلطة والإنتصار على المنافسين:

. هناك ضرورة تحكم العمل السياسي: إن الغاية هي الوصول الى السلطة لذلك يعتبر مكيافيل أن هناك مسألتين يجب أن تكونا حاضرتين في ذهن الأمير:

١ . لا قواعد ثابتة بل الغاية تبرّر الوسيلة.
٢ . لا مدونة سلوك مسبقة ولا معايير.

وفي كلا الحالتين يعتبر مكيافيل أن ليس في السياسة اتفاق مسبق حول ما هو مسموح أو غير مسموح، بل يجب القيام بالعمل المناسب في الوقت المناسب. فإن كل شيء في السياسة مسموح والحكم على نتيجة العمل، الذي إذا كان صحيحاً وحقّق الأهداف نال صاحبه مكافأة، أمّا إذا كان غير صحيح فينال صاحبه العقاب. وبرأي مكيافيل إنّ السلطة هي التي تحمي العمل وليس القانون

أو الإتفاقيّة. وبالتالي، فإن العمل الهادف الى الوصول الى السلطة يصبح شرعيّاً حتى ينجح في ذلك.

. صفات الأمير:

يستعرض مكيافيل في مجال تحدّثه عن كتابة التاريخ للأخطاء الستة التي ارتكبها لويس الثاني عشر أمير فرنسا في سياسته تجاه إيطاليا، فيقول: "إن الرغبة في التوّسع هي مسألة طبيعيّة ومن حق أي فرد، فإذا كان يتمتّع بالقدرة على تحقيق حلمه فإنه سيكرّم ولكن أن تكون لديه النيّة دون أن يتمكّن من تحقيقها فهذا خطأ كبير يُلام عليه (...) وإذا لم يكن لفرنسا القوة الكافية للمحافظة على الحكم في إمارة نابولي، كان على أميرها عدم التفكير بالموضوع من الأساس"، ويهدف مكيافيل من خلال رواية هذه القصة الى استخلاص حكمته حول أن "الغزو يجب ان يكون من أجل المحافظة على السلطة".

وفي الاطار عينه، عرض الكاتب الصفات التي على الأمير التمتّع بها، بعضها متلازم مع شخصيّته وبعضها الآخر خارج عن شخصيته، ويمكن تسمية هذه الصفات بالمعطى. وبالنسبة لمكيافيل يجب توافر نوعين من "المعطى":

١ . المعطى الخارجي ← تجارب الماضي.
↙ التاريخ (قراءة التاريخ)
↙ تحيّن الظروف.

٢ . المعطى الداخلي ← صفة أساسيّة يجب أن تتوفّر في الحاكم الفضيلة السياسيّة أي Virtù أو القدرات الذاتيّة، وهي قدرات فكريّة وجسديّة ونفسيّة تبثّ في الأمير رغبات قويّة (Valeur féroce) للقيام بأي شيء للوصول الى السلطة واتخاذ القرارات (Résolution).

ويمنح المعطى الداخلي الأمير الصفات المناسبة التي تساعده للوصول الى السلطة، واستخدام أيّة وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

١ . المعطى الخارجي(نصّ، ص ١٧):

بالنسبة لهذا المعطى؛ على الأمير التعلّم من تجارب الماضي، واستخلاص العبر من التاريخ، كذلك على الأمير تحيّن الظروف للإنقضاض على السلطة:

أ . الظروف: يعتبر مكيافيل أن هناك

نوعين من الظروف ١ ← ظروف يمكن إخضاعها
لإرادتنا (La fortuna).

وهي تشبه المرأة الجميلة التي تبهرنا ويمكنها أن تخوننا في أيّة لحظة، لذلك يجب السيطرة عليها.

٢ ← وظروف لا يمكننا التحكّم بها وهي
خارجة عن إرادتنا (Borgia)

ب . الإفادة من الظروف: على الحاكم الإستفادة من كل فرصة تعرض أمامه لتحقيق أهدافه. ويتجلّى لدى مكيافيل الإنتهازيّة المفرطة أي الإفادة في المطلق من أيّة معطيات تطرأ، بدون النظر الى ماهيتها أو التردّد في استعمالها، فيقول:" لا مانع من الوصول بقوة الآخرين ولكن بشرط أن يستمرّ بقوّته الذاتيّة" (مثل Borgia) الذي وطّد حكمه بعد أن استعان بأشخاص اختارهم هو، وتخلص من الذين أوصلوه بهدف المحافظة على سلطته.

ج . الظروف تتغيّر لذلك يجب التحلّي بالشجاعة والإنقضاض على الظرف المناسب.

٢ . بالنسبة للمعطى الداخلي أو القوّة الذاتيّة (نصّ ص ٢٠):

فهي الوسيلة الأهّم للوصول الى السلطة، وهذا المعطى يمنح الأمير الصفات والقدرة التي تؤهله للوصول الى السلطة والإستمرار فيها. هذا المعطى الداخلي أطلق عليه مكيافيل تسمية Virtù (الفضيلة السياسيّة) وهذا ما سيتّم شرحه لاحقاً.

وبشكل عام يشكّل المعطى الداخلي الصفة الرئيسيّة التي على الحاكم الناجح أن يتمتّع بها ليتمكّن من السيطرة على السلطة. وعلى الأمير أن يتمتّع ايضاً بصفات عسكريّة هي الأهّم برأيه "إذ إنّها أساسيّة لغزو الإمارات والمحافظة عليها. فالحرب يجب أن تكون إهتمامه الوحيد، وذلك لأن السلطة ترتكز دائماً على القوة"[9]. هذا، ويعتبر مكيافيل أن الجيش الوطني أفضل من المرتزقة. ويكون مؤلفاً من المواطنين وأتباع الأمير، لأنّهم مخلصون، يقاتلون من أجل بلدهم وعائلاتهم، ولا يخونون وطنهم وأقلّ تكلفة من المرتزقة التي تكلّف الأمير أموالاً طائلة، كما أنها غير وفيّة للأمير ومستعدة للتخلّي عنه إذا ما حصلت على عرض أفضل.

. الصفة الثانية التي على الأمير أن يتمتّع بها هي سياسيّة (نص، ص ٢٣):

[9] Lavroff, OpCit., p. 78

قدّم مكيافيل نصيحة للأمير قبل الولوج بصفاته معلناً أن الفضيلة، صفة على الأمير أن يتخلّى عنها ذلك أن ممارسة الفضيلة في عالم السياسة ترتدّ سلباً على صاحبها ويخسر السلطة. ومن أبرز مكونات الصفة السياسيّة أن يتمتّع الأمير بالحنكة والمكر. بمعنى أن يكون أسداً وثعلباً في الوقت عينه. وكي يتمتّع بالحنكة والمكر عليه إتباع بعض النصائح:

١. البخل:

نصح مكيافيل الامير أن يبتعد عن النموذج التقليدي الذي يثمّن كرم الأمير. وبرأيه أن الفقر هو حالة خطيرة على الأمير، إذ لا يعود بإمكانه الدفاع عن أرضه. وبالتالي، والكلام لمكيافيل، عليه "الإقتصاد في مصاريفه حتى لا يحمّل أتباعه ضرائب جديدة حتى ولو اتّهم بالبخل، فهذا الإتهام يؤمّن استقرار الحكومة وازدهارها ".

٢. إشاعة الخوف من حوله:

الإبتعاد عن نموذج الأمير التقليدي الذي يظهر الأمير طيباً ومحبوباً من شعبه. ويقول مكيافيل: "إن الأمير يتمّنى أن يكون محبوباً من الناس ولكن هذا الأمر فيه خشية، إذ من الأفضل له أن يخافه الناس من أن يحبّوه، وإذا كانت القوة ضروريّة فإن التمادي في استعمالها يؤثّر على علاقته بشعبه وموقف الناس منه واستعدادهم لتحين الفرص للإنتقام منه. لذلك عليه أن يجعل الناس يخافونه دون أن يكرهوه".

٣. عدم الاخلاص للتعهدات:

يمعن مكيافيل بتهشيم صورة القائد أو الزعيم السياسي المتعارف عليها في عصره، غير مرحّب باحترام الامير "لكلمة الشرف" التي تُعتبر من القيم الأخلاقيّة الأساسيّة في ذلك الوقت. فيقول الكاتب "إن احترام الأمير لكلمته مسألة مرحّب بها ولكن حدث في أيامنا أن الذين احترموا كلمتهم دفعوا ثمنها خسارتهم للسلطة، لذلك على الأمير أن يحاول أن يكون صادقاً ولكن دون المخاطرة بخسارة السلطة بسبب الفضيلة الزائدة". والحقيقة، إن هذه الصفات تمكن الأمير من الوصول الى السلطة والإستمرار فيها بالطرق والأساليب التي عرضناها أي من خلال القوة العسكريّة أو الإستعانة بالغير أو حتى من خلال الوسائل السياسيّة أي استعمال الحنكة.

وفي هذا الإطار، يحلّل الكاتب الفرنسي J.C Ricci صفات الأمير، ويعتبر أن "مكيافيل يفضّل أن يخاف الناس الأمير بدل أن يحبوه، فالسرقة والخيانة والجريمة والبخل والزنى هي وسائل على الأمير

استعمالها لوضع سياسته موضع التنفيذ، وإذا عجز عن الوصول الى السلطة عن طريق القوّة فعليه أن يلجأ الى الوسائل الملتوية كالمكر والإحتيال والفساد والتحايل للوصول الى السلطة"[١٠]. كل الوسائل مباحة للوصول الى السلطة. ويكّمل الكاتب معلّلاً أن الأمير الموجود في قلب العمل السياسي لا يستطيع أن يتصرّف كالناس العاديين، فعلى الرغم من اقتناعه بأن هناك الخير والشر وأن الأول يتفوّق على الثاني، فان هذا الأمر مرتبط بتصرفات الناس ومدى أخلاقيتهم وهم يسعون الى غايات خاصة. امّا في السياسة فالخير والشر غير موجودين في العمل السياسي وهما غريبان عنه[١١].

. الفضيلة السياسيّة (Virtù) (نصوص ص ٢٨ وما يلي):

اعتبر مكيافيل أن القوّة الذاتيّة هي الوسيلة الأهّم للوصول الى السلطة والنجاح في الحكم والإستمرار فيه. ولتحقيق هذا الهدف يجب أن تتوفّر عدّة شروط:

١ . تمتّع الأمير بصفات الحاكم أي الفضيلة السياسيّة Virtù
٢ . ان يعرف كيف يستفيد من الظروف للوصول الى السلطة وتوطيد حكمه.
٣ . ان يأخذ بعين الإعتبار الطبيعة البشريّة السيّئة وتقلبات الناس.
٤ . ان يأخذ بالنصائح التي تُسدى له.

الفضيلة السياسيّة وتعني قدرة الأمير على التلّون وتغيير مواقفه بحسب الظروف وكي يتمكّن من القيام بهذا التغيير يجب أن يتمتّع ببعض القدرات وأبرزها[١٢]:

* الطاقة Energie
* قوّة وحكمة في التصرّف Ressort
* مواهب Talents
* قدرة على اتخاذ القرارات Résolution = décision
* قيم متوحشة Valeurs féroces

[10] J.J Ricci, Op. Cit., p. 142.
[11] J.J Ricci, Op. Cit., p. 142.
[12] J.J. Chevalier, Op. Cit., pp. 26-28.

هذه الصفات تخوّل الأمير الوصول الى السلطة والمحافظة عليها. بالإضافة الى وسائل أخرى كتوفّر الظروف ومساعدة الغير والجرائم ودعم مواطنيه وموافقتهم كما أشرنا في القسم الأول من هذه المحاضرات. ونظراً لتداعياتهما على الإستمرار في السلطة، خصّص مكيافيل الفصل (٢٥) من كتابه للتمييز بين الفضيلة السياسيّة Virtù والظروف Fortune، وحذّر الحاكم وموجّهاً له النصائح، عارضاً الحجج المنطقية. فكما ساعدته الظروف ومكّنته من الوصول الى السلطة، فهي قادرة على مساعدة غيره من الذين يعرفون كيف يستغلونها للوصول. لذلك من واجب الأمير أن يحطاط للامر وأن لا يطمئن لوصوله إلى السلطة عن طريق الحظّ ولكن أن يعمل كي يبقى الحظّ الى جانبه.

إذاً، برأي مكيافيل أن الفضيلة السياسيّة هي المعطى الوحيد القادر على مواجهة الظروف والتحكّم بها، فالحاكم المتمّتع بالـ Virtù هو الوحيد القادر على التكيّف مع الظروف مهما تبدّلت، والمهيأ لمواجهتها والسيطرة عليها تماماً كما يسيطر الرجل على المرأة التي تضعف أمام أي فرد يستعمل العنف (نص، ص ٢٨). بمعنى آخر لقد وضع مكيافيل الفضيلة السياسيّة Virtù في مواجهة الحظ Fortuna، وذلك للدلالة على أن السياسة واللعبة السياسيّة تقومان على الحسابات الدقيقة وليس على الحظّ وأن اللاعب السياسي البارع هو الذي يقوم بحساباته جيداً ولا يدع شيئاً يقف في وجه طموحه ونجاحه.

. محتوى القوّة الذاتيّة:

. القوّة العسكريّة (نصّ، ص٢٦): يعتبر مكيافيل أن المحافظة على السلطة تستوجب أن يتمتّع الأمير بالقدرة على استخدام القوى المسلّحة أو الجيش وأن يتقن فن الحرب إذ يقول:

“ La science du gouvernement suppose savoir faire la guerre “.

إن فن الحرب يساوي "علم الحكم" ليس هناك حكم خارج إطار الحرب حتى في أيام السلم. على الأمير أن يعرف كيف يظهر قوّته وبطشه حتى لا يتعرّض للإهانة والإحتقار من قبل كل الناس. وإذا كان على الأمير أن يكون قاسياً وظالماً إلاّ أن نصيحة مكيافيل له أن لا يظهر حقيقته أمام الناس وأن "يتقن كالثلعب اخفاء وجهه الحقيقي، فالناس تصدّقون فقط ما يرونه". لذلك على الأمير أن يتلوّن وأن يظهر أن لديه صفات جيدّة وأنه مستقيم بينما هو في الواقع ليس كذلك.

. السياسة (نصّ، ص ٢٩ . ٢٤): كما على الأمير أن يحسن استخدام القوّة العسكريّة عندما تستوجب الظروف كذلك عليه استخدام الوسائل السياسيّة، لذلك عليه اتخاذ سلسلة تدابير:

- اختيار مستشارين جيدين، وكفوئين ومخلصين يوحون بأن الحاكم إنسان حكيم.

- اختيار وزير مخلص يفكّر بمصالح الأمير ويقدّمها على مصالحه الخاصة.
- على الأمير الإستماع الى مستشارين وأخذ رأيهم بكل الأمور والطلب إليهم أن يقولوا رأيهم بصراحة، ثم يدرس الموضوع بنفسه ويأخذ قراراته بنفسه دون العودة إليهم ولا يتراجع عن رأيه أبداً ولا يقبل النصيحة، ولا يسمح بإعطائها النصيحة إلاّ إذا أراد هو.
- كذلك بالنسبة لموقفه من الوزير عليه أن يفكّر به وبمصالحه فيغدق عليه الأموال والمناصب حتى يصبح مرتبطاً كلياً بالأمير (dépendant) ويخاف أن يخسر مركزه.

وفي هذا السلوك حكمة ودراية تمكّنانه بواسطة الوسائل السياسيّة، أي اللا عنفيّة من المحافظة على سلطته واستمراريتها.

الى جانب القوّة الذاتيّة على الأمير التمتّع بقدرات ومواهب تمنحه القدرة على التلوّن والكتيّف مع الظروف وتغيير مواقفه السياسيّة والتحوّل بسرعة من انسان مسالم سياسي الى رجل قادر على البطش بأعدائه للمحافظة على سلطته، أي أن يكون قادراً على أن يكون الشيء ونقيضه.

. تبرير الفضيلة السياسيّة (نصّ، ص ٣٠ . ٣٤): إن تبرير مكيافيل لضرورة تمتّع الأمير بالفضيلة السياسيّة يرتكز على مسألتين:

١ . طبيعة البشر الذين لا خير منهم.

٢ . المحافظة على نفسه وعلى السلطة.

. المكيافيليّة:

. بين الفضيلة السياسيّة Virtù والفضيلة الأخلاقيّة Vertu (نص، ٣٦ . ٣٧).

هل يمكن اعتبار مكيافيل رجل لا أخلاقي؟ وهل يتنكّر حقاً للقيم والأخلاق؟.

بالنسبة له أن الأعمال اللاخلاقيّة هي وسيلة وليست غاية. فالواقعية التي كتب وبحث فيها موضوع السياسة دفعت الى الإعتقاد أنه ملحد، خصوصاً أنه انتقد الجمهوريات الفاضلة، والحاكم المثالي في كيفية مزاولته لحكمه، هذا الإعتقاد أدّى الى منع كتابه. لقد صدمت واقعيّته السياسيّة معاصريه. غير أن هناك تفسيراً لهذا الأمر:

* عاش مكيافيل في عصر لم يعد فيه الدين مهيمناً، فسعى الى فصل الدين عن السياسة.

* بالنسبة له الدين والسياسة عالمان مختلفان في منطلقاتهما ووسائلهما وغايتهما. في الدين علاقة الإنسان مع الله، فلا وجود للمنافسة، بينما في السياسة فإنّ علاقة الإنسان مع الإنسان وهناك صراع وتنافس للوصول الى السلطة.

*لا يجوز استعمال مقياس الدين في تقييم السياسة.

مقياس أخلاقي ← تقييم أخلاقي.

مقياس سياسي ← تقييم سياسي.

من هنا الفضيلة السياسية هي وسيلة وليست غاية وهي تهدف لتحقيق الإستقرار في السلطة ← تخدم غاية نبيلة كما نقرأ في الصفحة ٣٧.

- **الردود على الكتاب.**

* لقد كانت الردود عنيفة على الكتاب، إذ منع طبعه وقراءته واعتبره كردينال Cantemburg كتاباً كتب بيد الشيطان. أدانه البابا بولس الرابع ومجمع Trente عام ١٥٥٧ ووضع على اللائحة السوداء، كذلك اعتبر البروتستانت أن مجازر Saint-Barthélémy (١٥٧٧) مستوحاة من منطق مكيافيل.

* ولاحقاً تغيّرت النظرة فأصبح الكتاب مقروءاً تمتدحه شخصيات سياسيّة ودينيّة مشهورة مثال Richelieu (١٦٤١).

* كذلك أقام دوق توسكانة Léopold نصباً تذكاريّاً لكيافيل سنة ١٧٨٧.

* في بداية القرن العشرين (١٩٢٤) كتب موسوليني عن نظريّة مكيافيل واصفاً إياها "أنها اليوم حيّة أكثر من الماضي... "

هذا بعض ما قيل عن مكيافيل إذ كتبت آلالف الكتب حول مؤلّف الأمير. وسعى مئات الباحثين الى شرح وتحليل ما تضمّنه، كما تُرجم الى لغات عدّة.

خلاصة:

١ . الواقعيّة السياسيّة: مقاربة السياسة من خلال معطيات على علاقة بالسياسة لا خارجة عنها، أي دراسة السياسة كممارسة وليس كنظريّة.

* أي إنّ السياسة تقوم على الحسابات الواقعيّة للأحداث ودراسة الوقائع.
* تحرير السياسة من المقاييس الأخلاقيّة وجعلها علماً قائماً بذاته.

٢ . الطبيعة البشريّة ← الثابت الشر والأنانيّة.

← الثقافة تشكّل ضابطاً لهذه الطبيعة.

٣ . القوة الماديّة ما زالت فاعلة في العلاقات بين الدول

← سباق الى التسلّح.

← داخل الدولة . حروب أهليّة

↙ صراع على السلطة.